

## المحاضرة الثالثة: التوسع العثماني في الحوض الغربي للمتوسط 1520-1571م.

لقد بنيت الإستراتيجية العثمانية للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط على إنشاء قواعد متقدمة في الحوض الغربي للمتوسط، ولهذا فإن أهم وأقرب منطقة له والعدو الأول لإسبانيا والعالم النصراني هي دول المغرب العربي حيث "تعود أولى الاتصالات العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط إلى سنة 1487م، وذلك في "رسالة من سكان غرناطة إلى السلطان العثماني والملك المملوكي يطلبون فيها العون والنجدة، ولدراسة الوضع الحربي والعسكري في المنطقة أرسل السلطان أحد بحارته المدعو كمال رايس، الذي بقي في المتوسط إلى غاية سنة 1495م".<sup>1</sup>

### 1- البدايات الأولى للتوسع العثماني في الحوض الغربي للمتوسط.

قاد الرايس كمال خلال الفترة التي استقر فيها بالجزء الغربي من المتوسط، عدّة عمليات انطلقت من ميناء بجاية وجزيرة جربة ضد العالم النصراني وكذا محاولاته لإنقاذ المسلمين الأندلسيين القابعين على السواحل الإسبانية.<sup>2</sup>

وما إن فرغ العثمانيون من تسوية الخلاف الصفويين سنة 1514م، واحتلالهم لمصر سنة 1517م، حتى أصبح الحوض الغربي للمتوسط مطاباً ملحا للسياسة العثمانية.

وقد لعب الحظ دوراً كبيراً في بداية التوسع غرب المتوسط، حيث استقر الأخوان عروج وخير الدين منذ سنة 1509م في جربة بتونس، ثم جيجل سنة 1511م ومن هناك بدأ الإخوة حملتهما في التوسع على بعض المناطق الجزائرية، ففتحوا الجزائر العاصمة سنة 1516م، وجعلوا منها معقلاً لقواتهما البحرية.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> De Jamil M et Alt, p148.

<sup>2</sup> Ibid, op.cit.

<sup>3</sup> PlayFair, op.cit, p34.

ليبدأ بعدها التوسع في الجهة الغربية من الجزائر، وذلك بمحاولة لفتح تلمسان سنة 1517م، وهي نفسها السنة التي توفي فيها عروج بعد استشهاده في معركة ضد الاسبان عند نهر دي سلاو.<sup>4</sup>

أرسل خير الدين بربروسة بعدها حسين شاوش إلى الباب العالي يطلب من السلطان الموافقة على طلب انضمام الجزائر تحت اللواء العثماني سنة 1519م، حيث وافق الأخير على طلبهما سنة 1519م.

وهكذا أصبحت الجزائر أحد القواعد العثمانية المتقدمة والمهمة في الجزء الغربي من البحر المتوسط، حيث أقضت مضجع أوربا كلّها، وهاجم رياسها إيطاليا وإسبانيا وأغلب السواحل الأوربية. ولم يكن العثمانيون ليتفرغوا للتوسع غربا إلا بعد أن يفتحوا جزيرة رودس معقل فرسان القديس يوحنا سنة 1523م، حيث تعتبر الجزيرة قاعدة متقدمة للإسبان في الجزء الشرقي للبحر المتوسط، ويذكر ستانلي لان بول: "لقد سقطت جزيرة رودس آخر عقبة لاستكمال سيطرة الأسطول العثماني على الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، ومن الآن وصاعدا لا توجد سفينة مسيحية آمنة بهذه المياه، فالبحريات القديمة في هذا الوقت كانت أقلّ قيمة، حيث لا توجد قوة تتحدى التفوق العثماني في بحر إيجه، البحر الأيوني وبحر الأدرياتيك".<sup>5</sup>

وقد راسل السلطان العثماني البابا يعلمه أن القوات العثمانية أصبحت حرة فيما يتعلق بآسيا، وأن الجزء الغربي من المتوسط سيصبح عما قريب عثمانيا، وفي المقابل حاول البابا توحيد صفوف المسيحيين لكن البنادقة حلفاء البابا أخبروا سليم الأول عن فكرة البابا، وفي غمرة

<sup>4</sup> سنتوسع أكثر في موضوع الأخوين عروج عندما نتطرق للمحاضرة الخامسة والتي تتعلق بالفتح العثماني للمغرب العربي.

<sup>5</sup> Lane-Poole Stanley, The Story of the Barbary corsairs, New York: G.P Putnam's Sons 1890, p. 74.

تحضيرات البابا ليو العاشر، وصلت اخبار وفاة السلطان سليم الأول، حيث أعلنت الصلوات والشكر وألغيت الحملة الصليبية... لأن الجميع كان يعتقد أن سليمان القانوني رجل سلام.<sup>6</sup>

## 2- التنسيق العثماني الجزائري غرب المتوسط 1529-1538:

هناك أمرين حدثا سنة 1529 مهذا لتساعد التنسيق الجزائري العثماني في الجزء الغربي للمتوسط الأول: هو تمكن خير الدين من تدمير قلعة البينون المقابلة لمدينة الجزائر في شهر ماي سنة 1529 الذي وفر ملجأ آمنا للسفن الجزائرية من العواصف؛ ثانيا: التوغل العثماني في شرق أوروبا ومحاصرة فيينا التي كانت تمثل الحدود الشرقية للإمبراطورية الإسبانية.

إن السيطرة على البحر من قبل المسلمين، لم تكن تعني تخريب التجارة الأوربية فقط أو تحطيم السواحل الواقعة في الجنوب؛ وإنما أصبحت تعبر عن التهديد المباشر الذي صار يمثله المسلمون للديانة المسيحية. فمع وصول العثمانيين فيينا سنة 1529 انتشرت فكرة قرب نهاية العالم في الأوساط الشعبية الأوربية؛ حيث انتج هذا الوضع أشكالا مختلفة من الثقافة في الأوساط الدينية والأدبية والفنية والسياسية، وقد عبر عن هذه الحالة الأديب الفلورنسي بورجيو براشيلوني (Poggio Bracciloni) في إحدى الرسائل إلى أحد أصدقائه مباشرة، بعد انتشار خبر انتهاء حكم الإمبراطورية البيزنطية: "أخشى ما أخشاه عودة زمن غزوات الوندال والقوط".<sup>7</sup>

لقد أعقب تحطيم قلعة البينون غارات بحرية واسعة قام بها البحارة الجزائريون، ولعل أشهرها تلك التي قادها إيدين رئيس (الملقب في الكتابات الغربية بالشيطان الضارب) وصالح رايس ضد

---

<sup>6</sup> قرياش بلقاسم، الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أطروحة دكتوراه، جامعة معسكر، 2016م، ص22-23.

<sup>7</sup> أحمد زنيمة، المشروع العثماني والمجابهة الفكرية الأوربية خلال القرن السادس عشر الميلادي، ملتقى التنافس الاسباني في غرب البحر المتوسط مطلع القرن 16 الميلادي، 9-10 نوفمبر 2010، كلية الآداب واللغات، جامعة الشلف، ص05.

السواحل الإسبانية؛ فعند عودة القائد العام للأسطول الإسباني من جنوة، اشتبك مع 14 سفينة كان يقودها إيدن راييس؛ لقد كانت النتيجة كارثية للأسطول الإسباني، فقد توفي بورتندو، وتم الاستيلاء على ستة سفن من أصل ثماني غاليرات ضخمة، في حين أحرقت واحدة أخرى.<sup>8</sup>

جاء في رسالة كتبها نائب ملك بلنسية إلى الإمبراطور بتاريخ 12 نوفمبر 1529: "لقد أعلمت جلالتم بطريق البريد عن الحالة التي تعيش فيها المملكة، خصوصا بسبب المحن التي تصيبها من جراء العمليات والتخريبات وأعمال النهب، التي يقوم بها الأتراك أعداء عقيدتنا الكاثوليكية... إنهم أخذوا سكان القرى التابعة لبارونة برسنت *Barcent* وسيد هذه القرية وكل المورسكيين القاطنين بمورلة في مقاطعة أوليكا".<sup>9</sup>

عانت الإمبراطورة الإسبانية زوجها شارل الخامس، وذكرته أن ضياع قلعة البينيون غير التوازن الموجود بشمال إفريقيا؛ وأن كلا من جزيرة أيبيريا وقلاع شمال إفريقيا وبالأخص وهران وبجاية؛ أصبحتا تحت تهديد مدافع بحارة الجزائر، وأن كل سفينة أخذت منا أصبحت تشكل خطرا علينا، إضافة إلى أن هذا الانتصار جعل العديد من القراصنة الخواص ينظمون إلى صف خير الدين.<sup>10</sup> وقد جاء الرد الإسباني على تحطيم قلعة البينيون عشوائيا، فقد هاجم أندري دوريا شرشال بأمر من الإمبراطور شارل الخامس لكن الحملة فشلت بعد سوء التنظيم التي شهدته منذ البداية. وقد تزامنت هذه الهجمات الجزائرية مع التوغل العثماني في شرق أوروبا، ما جعلها ضربات قاسية للحكم الهابسبورغي، الذي كان يمر بأيام صعبة خاصة مع ظهور الحركات المعادية

---

<sup>8</sup> Emrah Safa Gürkan, Ottoman Corsairs in The Western Mediterranean and Their Place in The Ottoman-Habsburg Rivalry (1505-1535), A Master's Thesis, Ankara: Bilkent University, June 2006, p95.

<sup>9</sup> المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني "القرصنة، الواقع والأساطير"، ج2، دار القصة للنشر والتوزيع الجزائر، 2009، ص89.

<sup>10</sup> Emrah Safa Gürkan, op.cit, p95-96.

للإمبراطور شارل الخامس (*Anti-Habsbourg*)، " باندلاع الثورة في كل من صقلية سنة 1516، فيينا سنة 1519، فالنسيا ومايوركا 1520-1523، البيرو 1537-1542، وثوراة المجالس البلدية أو ثورة الكاستيل 1520.<sup>11</sup>

وقام خير الدين بعد هذا الانتصار بإرسال سفينة محملة بالهدايا إلى السلطان العثماني، يعلمه فيها بتحريير قلعة البنيون، وكان رد السلطان العثماني أن سلمه سفينة من نوع قادرغة ذات العشرين مقعدا مزودة بمدافع متطورة.<sup>12</sup> وكان السلطان يعلم جيدا أن المسافة بين الإمبراطوريتين تمنع من حدوث توسع ناجح في الجزء الغربي من المتوسط، إلا في حالة استخدام بحراته المتواجدين بشمال افريقيا.

وخلال هذه الفترة بدأ التقارب العثماني الفرنسي، يطفوا على الواجهة الدولية آنذاك؛ ففي سنة 1534 عين أول قنصل فرنسي بطريقة رسمية في العاصمة إسطنبول، جين دولفورات (*Jean De La Foret*) وبعودته إلى فرنسا في أفريل من سنة 1534، فتحت الأبواب لتصاعد التأثير الفرنسي في البلاط العثماني.<sup>13</sup>

ومما زاد من تأزم موقف إسبانيا هو التحالف الرسمي بين الإمبراطورية العثمانية وفرنسا سنة 1536، فيما عرف بمعاهدة الامتيازات والتي تعتبر أول اتحاد دبلوماسي يقوم على مبدأ غير إيديولوجي بين دولة مسيحية وأخرى اسلامية. وقد استغل العثمانيون الصراعات القائمة بين الأمراء الألمان وشارل الخامس؛ لدعم مركزهم في أوروبا الغربية.

---

<sup>11</sup> Aurelio Espinosa, The Empire of the Cities, Emperor Charles V, the Comunero Revolt, and the Transformation of the Spanish System, Vol 137, Leiden: Brill, 2009, p65.

<sup>12</sup> مذكرات خير الدين بربروس، مرجع سابق، ص144.

<sup>13</sup> Charlesa Frazee, op.cit, p27.

كما استطاع العثمانيون من خلال هذه المعاهدة، ضمان القوة الفرنسية إلى جانبهم، ومنع أي تحالف فرنسي- إسباني قد ينهي التواجد العثماني غرب المتوسط، ليس هذا فقط بل استفاد العثمانيون من الموانئ الفرنسية لاستخدامها كقواعد في هجماتهم ضد المدن الإيطالية وكذا في حربهم مع الاسبان.

ومن جانب آخر أنتجت المعاهدة العثمانية الفرنسية دورا جديدا للأسطول الجزائري الذي سيكون مطالباً في المستقبل بتنفيذ هجمات متزايدة على المواقع الإسبانية الساحلية، بطلب من فرنسا التي لم تكن حتى تلك الفترة تملك قوة بحرية تمكنها من مجابهة اسبانيا.

### 3- السيطرة البحرية العثمانية 1538-1571.

استمر البابا بول الثالث في إلحاحه على عقد معاهدة سلام بين الفرنسيين والإسبان؛ واستمرت هذه المفاوضات من سنة 1537-1538، وكل المحاولات بإحداث التقارب بين الطرفين كان مصيرها الفشل " وقد جرى آخر لقاء بين الطرفين في 11 جانفي 1538 طالب فيه الفرنسيون بهدنة تفوق السنتين، في حين أن الإمبراطور ظل ملحا على أن الهدنة يجب أن تكون في فترة زمنية قصيرة... ورغم محاولات ممثل البابا في إحداث توافق بين الطرفين؛ إلا أنه كان يعلم أن الوصول إلى اتفاق يبدو مستحيلا، ما دام الفرنسيون متشبثين بالحصول على مدينة ميلان".<sup>14</sup>

بعد عودته من تونس سنة 1535، عين خير الدين كقائد عام للأسطول العثماني، كما أنه استطاع أن يحتفظ بلقبه كحاكم عام على إفريقيا، خلفا لإبراهيم باشا الذي كان يعمل فيما مضى

---

<sup>14</sup> Hayward Keniston, "Peace Negotiations Between Charle 5 and Francis 1, (1537-1538), Proceeding of The Americain", Philosophical Society, Vol 102, N°2, (April 1985), p146.

على منح امتيازات واسعة للبنادقة موطن ولادته الأصلي؛ لكن مع وصول خير الدين إلى القيادة، تغيرت النظرة إلى البنادقة، فخير الدين كان يرغب في جعل البحر الأدرياتيكي بحرا إسلاميا.<sup>15</sup> ويذكر خير الدين أنه تمكن من فتح ثمانية وعشرين جزيرة كانت خاضعة لجمهورية البندقية، وجعل في كل منها حامية.<sup>16</sup> كل الظروف أصبحت تتذر بالحرب؛ فهذه الأحداث دفعت البابا كليمنت الثالث إلى حشد تحالف مسيحي، وقد أعلن عن التحالف المقدس بروما في فيفري 1538.<sup>17</sup>

وفي ماي 1538 أعلن العثمانيون الحرب على البنادقة، وقد انضمت إلى القوات العثمانية سرية بحرية كان يقودها، كل من صالح رايس ودرغوث رايس؛ وكان دور بحارة الجزائر بارزا في هذه المعركة فيقول خير الدين: "دعوت رياس البحر إلى سفينة القيادة وتشاورت معهم جميعا، وبالرغم من الشجاعة الشديدة التي كان يتحلى بها دورغوث رايس، والذكاء الحاد الذي اشتهر به صالح رايس إلا أنهما أشارا علي بأن لا نغادر الخليج".<sup>18</sup>

إن الانتصار الذي حققه خير الدين في لابريفيزا ضد عدوه أندري دوريا، سيدعم سيطرة العثمانيين على البحر المتوسط خلال الثلاثين سنة القادمة، أي إلى غاية معركة ليبانتو 1571. "وفي أكتوبر 1540 عقد العثمانيون والبنادقة معاهدة سلام جديدة، كرست سيطرة العثمانيين على بيلوبونيس في اليونان، في حين استعاد البنادقة حقوقهم التجارية على الأراضي العثمانية".<sup>19</sup>

<sup>15</sup> Lane-Poole Stanley, op.cit, p95.

<sup>16</sup> مذكرات خير الدين بربروس، مرجع سابق، ص182.

<sup>17</sup> Charlesa. Frazee, op.cit, p40.

<sup>18</sup> مذكرات خير الدين بربروس، مرجع سابق، ص182.

<sup>19</sup> Charlesa. Frazee, op.cit, p40.

لقد خلفت الهزيمة التي مني بها الإسبان في المعركة، مساسا بالهيبة الإسبانية في المتوسط، ولهذا أصبح شارل كان يفكر بشكل جدي، القيام بعمل عسكري يسترجع به الهيبة الإسبانية المفقودة، وكان الحل الوحيد هو استهداف الجزائر، القاعدة العثمانية المتقدمة والأكثر أهمية في الصراع العثماني الإسباني.

وتخوفا من أن تفشل الحملة أجرى شارل الخامس، اتصالات مع خير الدين يطلب منه العمل تحت رايته، على أن يلقيه حاكما على كل إفريقيا، وقد استغل خير الدين الفرصة لكشف الخطة التي يود أن يدخل بها شارل الخامس إلى الجزائر.

أما عن السبب المباشر لهذه الحملة فيذكر مخطوط المحكمة، أن سببها يرجع إلى أسر سفينة إسبانية من طرف علج علي، فاشتكى هؤلاء لملكهم من المضايقات المستمرة من طرف القراصنة وأنه إن لم يتدخل فأنهم سيعلمون ولاءهم للأتراك، ومما لا شك فيه فان سبب الحملة يتجاوز مجرد أسر سفينة.

وبعد تجهيز الحملة، بدأت معاناتها بإضاعة الكثير من الوقت في جزر البليار، ولم يصل الأسطول الإسباني الجزائر؛ إلا بتاريخ 19 أكتوبر 1541، يضم خمسمائة وستة عشر سفينة شراعية، 65 غليارة كبيرة، محملة باثني عشر ألف بحار، وثلاثة وعشرين ألف وستمائة مقاتل. إن الحملة كانت تعتبر إحدى أعظم الحملات البحرية خلال القرن السادس عشر... فقد ضمت أيضا مغامرين ألمان وإيطاليين، كما أرسل البابا ابن أخيه كولونا، وقامت منظمة مالطا بإرسال مائة وأربعين من أفضل مقاتليها.

تبدوا الحملة ضخمة أكثر من اللازم لتوجه إلى مدينة، كانت دفاعاتها مكونة من ألف وخمسمائة تركي وأندلسي مدربين على فنون الحرب، وخمسة آلاف من الأهالي القادرين على



حمل السلاح"<sup>20</sup>. إن نظرة سريعة إلى الحملة تثبت أن العامل النفسي كان له التأثير الأبرز في حشد هذا العدد العائل من العدة، فالانكسارات المستمرة أمام الأتراك جعلت شارلكان يفقد الثقة في هزمهم. ويربط الانتصار في المعركة بالكمية.

في هذه المرة أيضا لم يكن الاسبان أكثر حفا من المرات السابقة، فالعاصفة التي ضربت في 24 أكتوبر، دمرت أغلب القوات الإسبانية، إضافة إلى الهجمات التي كان ينفذها الجزائريون ضد المعسكر العثماني على الشاطئ، ما دفع شارل الخامس إلى الانسحاب. هذه الهزيمة جعلت شارلكان يعتزل الحياة السياسية ويتفرغ للعبادة في إحدى الأديرة.

تحصل الجزائريون على غنائم ضخمة تركها الإسبان في المكان... كما تمكنوا من رفع عدد هائل من السفن الصغيرة وبعض الغليات الكبيرة، وانتشلوا حوالي خمسمائة قطعة مدفعية من البرونز، ومقدار كبير من الأسلحة والتجهيزات المختلفة الأنواع، إضافة إلى العدد الهائل من الأسرى.<sup>21</sup>

هذه الظروف شجعت الفرنسيين على طلب المساعدة من العثمانيين للاستعادة نيس، وقد رحب الفرنسيون بخير الدين الذي نزل في مرسيليا، ومنح له ميناء طولون لقضاء الشتاء به، وفي هذا الصدد يذكر لان بول: "لقد بالغ الفرنسيون في الترحيب بخير الدين؛ لقد انخفضت رايثنا المسيحية لتعوض بالهلال الإسلامي".<sup>22</sup>

عبرت هذه الحملة عن تصاعد التأثير الفرنسي في الباب العالي، وأن أغلب الغارات البحرية المستقبلية على السواحل الإسبانية، ستكون بطلب من الفرنسيين، وما يؤكد التأثير الفرنسي؛ قضية

---

<sup>20</sup> Walsin Esterhazy, op.cit, 146.

<sup>21</sup> Ibid.

<sup>22</sup> lane-poole Stanley, op.cit, p95.

عزل حسن ابن خير الدين، الذي رفض توجيه حملة ضد السواحل الإسبانية بطلب من فرنسوا الأول، ورغم أن الباب العالي ادعى أن قضية عزل حسن آغا ترتبط بسوء الجوار مع إخوانه المغاربة، إلا أن كل الدلائل تشير إلى أن عزل حاكم الجزائر جاء بعد إلحاح السفير الفرنسي في اسطنبول.

وفي سنة 1552، أرسل هنري الثاني الفارس ألبيس إلى الجزائر، يطلب من صالح رايس أن ينسق مع القوات الفرنسية لمهاجمة السواحل الإسبانية، وقد جاء رد صالح رايس سريعا وخرج من ميناء الجزائر في جوان 1553؛ مع أربعين سفينة حربية ونزل في مايوركا فهاجم أريافها وألحق أضرارا كبيرة بحامية ماهون.<sup>23</sup>

إن المشاكل الدينية التي كانت تمر بها أوربا استغلها العثمانيون، لدعم موقفهم في الجزء الغربي من المتوسط، لقد كانت الدولة العثمانية تمثل الجنة بالنسبة للمضطهدين دينيا، فمثلا: في أواسط القرن السابع عشر؛ مجموعة من الهوغويين المطرودون من فرنسا توجهوا للعيش في اسطنبول، والعديد من المواطنين التابعين للكنيسة الأنغليكانية هربوا من الأراضي الانجليزية، وحتى الكويكر والأنابتيست، وحتى المسيحيون الكاثوليك والقديسين استقروا على الأراضي العثمانية.<sup>24</sup> وقد اعتبر لوثر أن الرب أرسل الدولة العثمانية كإشارة لإيقاظ المسيحيين من سباتهم؛ وذهب أحد البروتستانت إلى أبعد من ذلك، عندما قال أن الله يفضل العثمانيين.<sup>25</sup>

بعد هزمهم الأسطول الاسباني في طرابلس سنة 1560، بدأ العثمانيون يفكرون في مهاجمة مالطة واستعادتها من فرسان القديس يوحنا، ومنذ سنة 1564 بدأ التحضير للحملة، وكان

<sup>23</sup> H.D.de Grammont, op.cit, p79.

<sup>24</sup> Daniel Goffman, The Ottoman Empire and Early Modern Europe, New York: Cambridge University Press 2004, p111.

<sup>25</sup> M. Holt, The Cambridge History Of Islam: The Central Islamic Lands From Pre-Islamic Times to The First World War, Vol IA, Cambridge University Press, 1970, p329.

الأوروبيون يعلمون عن هذه التحضيرات، لكنهم لم يكونوا يعلمون بالمكان المستهدف بالضبط أما فرسان مالطة فكانوا متأكدين من أن جزيرتهم هي الهدف التالي، ولهذا استعدوا على الرغم من نقص الدعم من أوروبا التي كانت مشغولة بتسوية شؤونها الداخلية.

ويذكر ديغرامون أن القوات العثمانية كانت تتألف من مائة وخمسين غليارة كبيرة، تحمل ثلاثين ألف جندي.<sup>26</sup> أما الفرسان فقد كانوا تحت قيادة عظيمهم الوحيد دي لافاليت الذي استعد للدفاع عن قلعته بمهارة، وسيكون من الحمق أن يحاول المرء قص قصة حصار دام خمسة أشهر، فكل من المهاجمين والمدافعين أظهروا بطولة عظيمة... إن قصة الحصار قد انتقلت إلى أوروبا في كثير من الخرائط والكتيبات، التي وزعت بطريقة شعبية ما تزال تشهد على ذلك الاهتمام الذي أثاره الدفع البطولي.<sup>27</sup>

لقد خلف الحصار العثماني للجزيرة خسائر هائلة في الصفوف العثمانية، فقد توفي وجرح حوالي ستة آلاف مقاتل، كما شهد الحصار وفاة أشجع القادة العثمانيين درغوث باشا. ورافق الجثمان إلى طرابلس حسن باشا القائد العام للحملة، وعين مكانه على الجزائر عرج علي. وبعد عامين على هذه الأحداث، وردت برقية سرية من الباب العالي، تعلم فيها القيادة العثمانية حاكم الجزائر من هجوم محتمل سينفذه الإسبان ضد الجزائر<sup>28</sup>، وفعلا ففي سنة 1567 حاول خوان فاسكون إحراق الأسطول الجزائري المتمركز في الميناء، لكن الحراس تقطنوا له، وتم ملاحقته والقبض عليه واعدامه.

<sup>26</sup> H.D. de Grammont, op.cit, p99.

<sup>27</sup> جون.ب.وولف، مرجع سابق، ص 80.

<sup>28</sup> Yusuf Sariny, Osmanli belgeleride Cezayir, Ankara, Osmanlı Arşivi Daire Başkanlığı, 2010, p12.

كانت قبرص تمثل عائقا للدولة العثمانية للربط بين ولاياتها في المشرق، وكان لابد من إسقاطها ولهذا اتهم العثمانيون البحارة القبارصة بالتعرض للسواحل السورية، وكان هذا هو السبب المباشر للحملة، التي قادها بيالي باشا ضد قبرص، تمكن من خلالها الاستيلاء على الجزيرة في سبتمبر 1570.

لم يتقبل البنادقة استيلاء العثمانيين على جزيرة قبرص، وبتاريخ 28 ماي 1570، أعلن في كنيسة سانت بيار بروما، عن تحقيق الاتحاد بين إسبانيا، إيطاليا، وألمانيا، ضد العثمانيين، واجتمعت سفن جنوة والبندقية في ماسينا.<sup>29</sup>

وقد كانت القوات العثمانية تحت قيادة بورتو باشا وزاده باشا وحاكم الجزائر عرج علي، ورغم أن كل البراهين كانت تشير إلى انتصار العثمانيين، إلا أنهم انهزموا نظرا للتمتد الذي أبداه قادة الجيش البري ورفضهم مقترح عرج علي، الذي كان يقضي بعدم الدخول في اشتباك قرب الساحل يصعب عملية المناورة أما في حالة بقاء الأسطول قرب الساحل، فيجب أن تقصف مدافع القلاع الساحلية الأسطول المسيحي ثم تدخل البحرية العثمانية في اشتباكات مع العدو.

لقد كانت الخسائر العثمانية ضخمة جدا، فقد أبيض أغلب الأسطول العثماني، ولم ينجوا من المعركة سوى الأسطول الجزائري المشارك تحت قيادة عرج علي، ليس هذا وفقط بل حطم كل الأسطول المالطي الذي كان متمركزا على الجناح الأيسر. استقبل عرج علي استقبال الأبطال من قبل السلطان العثماني، وعين قائدا عاما للبحرية العثمانية.

---

<sup>29</sup> Mercier Ernest, Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés, jusqu'à la conquête française (1830), T2, Paris: Ernest Lourex Editeur, 1868, p111.

يرى الكثير من المؤرخين أن معركة ليبانتو، كانت ذا نتائج نفسية أكثر منها مادية؛ فقد حطمت العقدة النفسية التي كان يعاني منها المسيحيون عند ملاقاتهم الجيش العثماني، كما أزلت الفكرة القائلة بأن الجيش العثماني جيش لا يقهر.

وما إن وصلت الأخبار إلى البندقية بانتصار الحلف المسيحي، حتى دقت الأجراس في مختلف أنحاء المدينة، وأعلنت ثلاثة أيام للاحتفالات بالنصر، واعتلى قوس النصر برج المسرح الروماني، في حين راودت الأحلام البابا بيوس الخامس؛ بتوجيه حملة صليبية يتم من خلالها استعادة فلسطين. ومهما يكن؛ فإن انتصار ليبانتو قد ضخمه المسيحيون أكثر من اللازم، ففي الوقت الذي استطاع الأتراك بناء أسطول أكثر قوة من السابق في مدة لا تتجاوز السنة، كان البنادقة لا يزالون منتشين بانتصاراتهم.<sup>30</sup>

---

<sup>30</sup> Charlesa. Frazee, op.cit, p28.